مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٢/٢٠١١ هـ.ق، العدد ١٨ (٤) ٤٩-٦٤

المدائح النبوية في الشعر العربي (دراسة في تطورها التاريخي)

علي سليمي[١]، محمد نبي احمدي[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٣١/١/١٩ تاريخ القبول: ١٤٣١/١٢/٢٨

إنّ المدائح النبوية تشكل قسماً عظيماً من التراث الإسلامي و العربي، فظهرت آلاف من القصائد مليئة بالعواطف الدينية و الإنسانية في الشعر القديم و المعاصر. و قد تطورت هذه المدائح في المعنى و المبنى طيلة قرون، شأنها شأن سائر الألوان الأدبية الأخرى، و إضافة إلى ذلك اصطبغت هذه المدائح في الشعر العربي المعاصر بصبغة اجتماعية و سياسية. فكانت هذه المدائح فى بدايات هذا العصر تقليداً للقديم و محاولة لإحياء التراث، و لكن بعد مدة قليلة من الزمن تغيّر هذا الإتجاه التراثي، فغلبت عليه الهموم الإجتماعية و السياسية، فأصبحت لوناً من الشعر النضالي الملتزم بالأمة الإسلامية و قضاياها المصيرية.

و بناءً على ما طرأ على هذه المدائح من التطورات في الشعر القديم و المعاصر، يمكن وضعها في ثلاثة اتجاهات:

١- إتجاه شعري محض (إتجاه البردة الأولى).

٢- إتجاه شعري ممزوج بالتصوف و المعارف الدينية و الفلسفية (إتجاه البردة الثانية).

٣- إتجاه شعري ممزوج بالقضايا الإجتماعية و السياسية (في الشعر المعاصر).

الكلمات الرئيسية: المديح النبوي، بردة كعب بن زهير و البوصيرى، الشعر الإجتماعي و السياسى.

١. أستاذ مشارك في فرع اللغة العربية بجامعة رازي. alisalimi832004@yahoo.ca

٢. أستاذ مساعد في فرع اللغة العربية بجامعة رازي. mnabiahmadi@razi.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

مقدمة

لا شك في أن هذه المدائح النبوية، إضافة على أهميتها الإبداعيةكنوع جميل في الشعر العربي قديماً و حديثاً، تعدّ جسراً يصل ماضي الأدب العربي بحاضره، و بذلك فهي تلعب دوراً بارزاً في الإتصال بين الأدبين القديم و الجديد في التراث الإسلامي و العربي، لأنّه لون أدبي يتّصف دائماً بالعمق في الإصالة و المعاصرة.

قد طرأت على هذه المدائح تطورات كثيرة و خاصة في الأدب المعاصر، شأنها شأن سائر الألوان الأدبية الأخرى، و الأسئلة المطروحة هنا: ما هي المراحل التي مرّت بها هذه المدائح طيلة قرون؟ و ما الفرق بين إتجاهات هذه المدائح في الشعر العربي القديم و الشعر العربي الحديث؟ و ما هي الميزة البارزة التي تمتاز بها هذه المدائح في الشعر العربي المعاصر؟

يسعى هذا المقال للإجابة عن هذه الأسئلة بإيجاز.

دراسات سابقة

قد ظهرت دراسات كثيرة تهتمّ بشرح المدائح النبوية و بشرح القصيدتين الشهيرتين "بردة" كعب بن زهير و "بردة" البوصيري منها خاصة، كما أشار بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" (القسم الثالث، ج٥و٦) إلى عديد منها. إضافة إلى ذلك قد ألّفت مجموعات كثيرة جمعت فيها هذه المدائح كـ "المجموعة النبهانية في المدائح النبوية في أربعة أجزاء"، كما توجد كتب كثيرة تناولت هذه المدائح بالدراسة و التحليل كـ "المدائح النبوية" لمحمود علي مكي (١٩٩١م)، و "محمّد (ص) بين البوصيري و شعراءنا المعاصرين" لإبراهيم عوضين (١٩٩٤م)، و "المديح النبوي في الأدب العربي" لزكي مبارك الذي درس فيه هذه المدائح في الأدب العربي القديم و الحديث، و آخركتاب في هذا الباب "ديوان روائع المديح" لعبد الله نجيب سالم الذي جمع فيه نماذج كثيرة من هذه المدائح.

و في المجلات العربية توجد مقالات كثيرة تدرس هذه المدائح، منها "صورة الرسول العظيم في الشعر المهجرى" (مجلة الموقف الأدبي، ع ٤١٩، سنة ٢٠٠٦م)، و "المديح النبوي الأندلسي بين لسان الدين و ابن جابر" (أحمد فوزي الهيب- مجلة التراث العربي ع ٩٧، السنة ٢٠٠٥ م)، و مقالة "شعر المديح النبوي في الأدب العربي" (جميل حمداوي، مجلة الديوان، ٢٠٠٧م)، و مقالة "المدائح النبوية نشأتها و تطورها في الأدب العربي" حسن سرباز (مجلة العلوم الإنسانية، السنة ١٩٩١، العدد ١/١٠)، و مقالة "على ضوء الشعر الملتزم في صدر الإسلام" فيروز حريرچى، (مجلة العلوم الإنسانية، السنة ٢ العدد ٣ و٤) و مقالة باللغة الفارسية بعنوان "مدح الرسول (ص) من الواقع إلى الرواية = مدح رسول (ص) از واقعيت تا روايت" (محمد باقر حسينى، مجله ادبيات تطبيقى دانشگاه كرمان، ع١، سنة ١٣٨٨هـ.ش.)، و مقالة "المديح النبوى و بواعثه فى الشعر المهجري" محمد خاقانى (مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها- ع ٩ سنة، ١٣٨٧هـ.ش.)، و مقالة "مقارنة بين حسان بن ثابت و الخاقاني في المديح النبوي" تورج زينى‌وند (مجلة العلوم الانسانية، ٢٠٠٤، العدد ١٥ -٤)، و مقالة بعنوان "شخصية النبي في الشعر العربي بين القديم والجديد" للباحثة اللبنانية (نجمة حجار، مجلة نزوى العمانية،ع ٥٣ سنة ٢٠٠٩م)، و "المديح النبوي الأندلسى" أحمد فوزي اللهيب (مجلة التراث العربي، ع ٩٧، سنة ٢٠٠٩)، و لكن، و إلى جانب هذه الدراسات كلّها، ماتزال هذه المدائح تحتاج إلى دراسات أخرى تحلّلها

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

في تطورها التاريخي و خاصة فيما طرأ عليها من تطورات في الشعر العربي المعاصر. يحاول هذا المقال دراسة هذه الناحية من المدائح و الإجابة عن السؤال التالي: ما الفرق بين هذه المدائح في الشعر العربي القديم و المعاصر و ما هي التطورات التي مرّت بها؟

١- المديح النبوي

يقال: "إنّ كثيراً من شعر المدح لم ينشأ عن الرغبة في العطاء و لكن نشأ عن إعجاب ملأ قلب الشاعر فانبثق الشعر عن عاطفة صادقة" (أحمد بدوي، ١٩٦٤م، ص ٢١٨) إذا لم يصحّ ذلك في المدائح كلها، فإنّه صحيح في المديح النبوي، لأنّ " الشاعر في مدح النبيّ (ص) – بخلاف المديح العام- لايهتمّ بإرضاء ممدوحه فحسب، و لكنّه بالدرجة الأولى يهتمّ بأن يضع يده و يد المتلقي على تلك الشمائل و السلوكيات، ليقدّم الدواء الناجع في إنقاذ الإنسان و توجيهه" (عوضين، ١٩٩٤م، ص ٦)

و كما هو معروف أنّ المديح النبوي هو "ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي (ص) بتعداد صفاته الخلقية والخلقية و إظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره و الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول (ص) مع ذكر معجزاته المادية و المعنوية و نظم سيرته شعراً و الإشادة بغزواته و صفاته المثلى و الصلاة عليه تقديرا و تعظيما" (حمداوي، ٢٠٠٧م) فيندرج هذا النوع من الشعر ضمن الرؤية الدينية الإسلامية. يصف زكي مبارك هذه المدائح بأنها: "فن من فنون الشعر ...فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، و باب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصدق و الإخلاص" (مبارك، ١٩٣٥م، ص١٧).

"إذن فالمديح النبوي يطلق على شعر ديني يركز على سيرة النبي (ص) و فضائله النيّرة، وقد رافق هذا الشعر مولده، هجرته و دعوته، كما واكب فتوحاته و حب آل بيته (ع)" (حمداوي، ٢٠٠٧). و "إذا كانت بدايات مديح النبي تعود إلى أوائل سنوات الهجرة، فإن هذا الفنّ تطوّر على يد عدد من الشعراء على مرّ العصور الإسلامية حتى أصبح اليوم فناً قائماً بذاته له خصائصه و طرقه و غدا المديح النبوي يشكّل أحد أهمّ الفنون في المجتمعات الإسلامية الحديثة" (حجار، ٢٠٠٩م).

و لكن إذا امعنّا النظر فيما سمّي بـ " المدائح النبوية" في الشعر العربي القديم و المعاصر، رأينا أنّ قسماً عظيماً منه لا يعدّ مدحاً خالصاً، بل يتعلق بقضايا أخرى كذكر الأماكن المقدسة و الشغف لزيارتها، و الإعتراف بالذنوب و طلب الشفاعة منه (ص) و ذكر آل البيت و الأصحاب، و الردّ على النصارى و اليهود و غيره، إذن لو اطلقنا على هذه المدائح " الشعر النبوي" بدلاً من المدائح النبوية، لكان أقرب من واقعها و أصدق على مضامينها المتنوعة.

٢- اتجاهات المديح النبوي في الشعر العربي

يبدو أنّ هذه المدائح كانت في تطور مستمرّ في كل عصر من العصور، شأنها شأن الشعر العربي العام، فيمكن وضعها – بناءً على ما طرأ عليها من تطورات تاريخية – في ثلاثة اتجاهات:

الأول: إتجاه شعري محض (إتجاه البردة الأولى).

الثاني: إتجاه شعري ممزوج بالتصوف و المعارف الدينية و الفلسفية (إتجاه البردة الثانية).

الثالث: إتجاه شعري ممزوج بالقضايا الإجتماعية و السياسية (غلبة الصبغة الإجتماعية).

إنّ لشعر المديح، بناء على حاجات العصر و مقتضياته، في كل من هذه الإتجاهات، ميزاته الخاصة به.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

الأول: إتجاه شعري محض (إتجاه البردة الأولى)

تعود أشعار المديح النبوي إلى بداية الدعوة الإسلامية و " لعل أول ما نعرفه من الشعر الذي قيل في الرسول (ص) في الدور المكيّ من حياته، هو الشعر المنسوب إلى أبي طالب عمّ الرسول وكافله بعد وفاة جدّه عبد المطلب(مكي، ١٩٩١م، ص٧). يقول ابن سلام:" و كان أبوطالب شاعراً جيد الكلام و أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبيّ (ص) و هي:

وَ أبيضَ يُستَسقَى الغمامُ بِوَجهِهِ

ثِمالُ اليتامَى عِصمةٌ للأرامِلِ

(ابن سلام،١٩٩٧م، ص١٢٥)

جاء في الأغاني عن النبيّ (ص): "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها"(الأغاني، ج٤، (بلا تا)، ص١٣٧). و بذلك تشكلت نوّاة المدائح النبوية، فظهرت جماعة من الشعراء البارزين الذين كانوا يدافعون عن الدين الجديد. فاشتهر حسان بن ثابت -كما هو معروف- بـ"شاعر النبيّ " (ص)، لإنه بدأ يمدح الرسول (ص) و يهجو أعداءه مدافعاً عنه و عن أصحابه. و" كان شعره تسجيلاً حياً لحياة الرسول (ص) و غزواته" (الأيوبي، ٢٠٠٣م. ص ١١٦)

و اللافت للنظر أنّ هؤلاء الشعراء يبدأون مدائحهم بالتغزل و التشبيب على عادة الشعراء الجاهليين. فهذا يدلّ على أنّهم كانوا يحفظون إطاراً شعرياً خالصاً وكانت مدائحهم بعيدة عمّا نلاحظه فيما طرأ على هذه المدائح فيما بعد" كما يقال: "سار الشعراء في الإسلام على نهج الشعراء الجاهليين في معظم ما أنشأوه من شعر المديح إتباعاً لهذا التقليد" (أحمد بدوي، ١٩٦٤م، ص ١٨٧)، فقد استهلّ كعب بن زهير بردته الشهيرة بمطلع غزلي على عادة شعراء العصر الجاهلي. و اشتملت هذه المقدمة على ثلاثة عشر بيتاً من القصيدة، فيقول:

بَانتْ سُعادُ فَقَلبِي اليومَ متبولُ

مُتيّمٌ إثرَهَا لَم يُفدَ مكبولُ

(الديوان، ١٤٢٥هـ.ق. ص٢٦)

ثمّ وصف الشاعر ناقته فاستغرق هذا الوصف، القسم الأكبر من القصيدة ثمّ انتقل إلى المديح النبويّ، و الأبيات المتعلقة بالمديح في القصيدة قليلة بالنسبة إلى الأبيات الأخرى، كما أنّ فيها إشارات قلّيلة للرسالة، مثل: "رسول الله" و"أسلموا" و"نافلة القرآن". (حجار، ٢٠٠٩م) فيقول الشاعر:

أنبِئتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعَدَني

والعفو عند رسول الله مأمول

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نَافِلَةَ

القُرآنِ فِيهَا مَواعيظُ و تَفصيلُ

إنَّ الرسولَ لَسَيفٌ يُستَضَاءُ بِهِ

مُهَنَّدٌ مِن سُيُوفِ اللهِ مَسلُولُ

(الديوان، ١٤٢٥هـ.ق. ص٣٧)

كما يبدأ حسان بن ثابت و الشعراء الآخرون أيضاً مدائحهم بهذا الأسلوب السائد، فيقول حسان:

عَفَت ذاتُ الأصابعِ فَالجِـــواءُ

إلى عَذراءَ مَنزِلُهَا خَـــــلاءُ

(الديوان، بلا تا، ج١/١٧)

كما يقول الأعشى:

أَلَم تَغتمضْ عَيناكَ ليلـةَ أرمدا

وَ عَادَكَ مَاعادَ السليمَ المُسَهَّدَا

(الديوان، بلا تا، ص٥٩)

يعتقد زكي مبارك "أنّ قصيدة كعب بن زهير و الأعشى ليست من المدائح النبوية لأنّ المدح الذي جرى

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

على لسانهما لا يزيد شيئاً عن غيره من المدح الذي جرى في ذلك العهد موجّهاً إلى الملوك، أمّا المدح النبوي فيمتاز بعدّ شمائل النبيّ (ص) و سرد ما في الرسالة من المحاسن... تقرباً إلى الله" (مبارك، بلاتا، ص ١٥٨).

و أحياناً يتجاوز الشعراء الملامح التقليدية التي كانت شائعة في الوصف الجاهلي ليصوّروا صورة أخرى في مدائحهم، منشأها الحس الديني الجديد، فتتراءى هذه المدائح متمثلة في رسول الله(ص) كهاد للأمة و بشير بالحق، يقول حسان:

وَقالَ اللهُ قَد أرسلتَ عبداً
يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءُ
شَهِدتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ
فَقُلتم: مَا نُجيبُ وَ مَا نَشَاءُ
(الديوان، بلا تا، ج١/١٨)

كما جاء في كتاب "الشعر و الشعراء" لابن قتيبه أنّ الشاعر الجاهلي–الإسلامي النابغة الجعدي أتى النبيّ (ص) و أنشده:

أَتَيتُ رَسولَ اللهِ إذ جَاءَ بالهدَى
وَ يَتلو كتابــاً كالمَجَرَّةِ نَيِّرا[1]
بلغنا السماء مجدنا و جدودنا
و إنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله (ص) إلى أين أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة، فقال رسول الله (ص): "إن شاء الله" و انشده:

و لا خير في حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
و لا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله (ص): "لا يفضض الله فاك" (ابن قتيبه، ١٩٩٨، ص١٩٣)

فقد حافظت هذه المدائح على إتجاهها الشعري المحض باستمرارها بعد وفاة النبيّ (ص) للقرون التالية. يقال: "إنّ فاطمة (ع) ابنة الرسول (ص) أول من ندبته بحسرة لاذعة بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، فعبّرت عن حزنها قائلة:

إغبرّت آفَاقُ السماءِ وَ كــوِّرَتْ
شمسُ النهارِ وَ أظلمَ العَصران[2]
فَالأرضُ مِن بعدِ النبيِّ كئِيبةٌ
أَسَفاً عَلَيهِ كثيرةُ الرجفَان
فَليَبكهِ شَــرقُ البِلادِ وَ غَربُهَا
وَ ليَبكهِ مُضرٌ وَ كــلُّ يَمَانِ
وَليَبكهِ الطَّــودُ المُعَظَّمُ جَــوُّهُ
وَ البَيتُ ذُو الأستَارِ وَ الأركانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسلِ المُبَارك ضَوءُهُ
صَلَّى عَلَيك مُنَــزِّلُ القُــرآنِ
(ابن رشيق القيروانى، ج٢، ص٨١٦)

فبقي هذا الإتجاه الشعري في المدائح إلى آواخر العصر العباسي، كما نجد شاعر أهل البيت الكميت في هاشمياته، يقول:

طَربتُ وَمَا شوقاً إلى البيضِ أطربُ
وَ لا لَعِباً مِنِّي وَ ذُو الشَّوقِ يَلعبُ
إلَــى النفرِ البيضِ الَّذينَ بحبِّهِم
إلَــى اللهِ فِيمَا نَــالني أتقرَّبُ
وَ أنتَ أمينُ اللهِ فــي الناسِ كلِّهِمُ
عَلَينا وَ فِيما إحتازَ شرقُ وَ مغربُ
و بُورِكتَ مولوداً وَبوركتَ ناشئاً
وبُورِكتَ عندَ الشيبِ إذا أنتَ أشيبُ

١. الجرَّة: مجموعة من النجوم الصغيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنّه بقعة بيضاء.

٢. اغبرّت: اكفهرت و اظلمت.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

لَقَـــد غَيَّبُوا بِرّاً و صدقاً و نائلاً
عَشية وَارَاك الصفـــيحُ المُنَصَّبُ[1]
(الكميت، بلا تا، ص٢٥)

يرجّح زكي مبارك مديح الكميت على الشعراء الآخرين كالأعشى وكعب بن زهير فيقول: "إنّ قصائد الكميت بن زيد في مدح آل البيت تعتبر نواة لهذا الفنّ" (المصدر السابق، ص ١٥٨)

فاستمرّ هذا التيار الشعري في المدائح النبوية في العصر العباسي، كما نلاحظ في شعر الشريف الرضي و مهيار الديلمي و شعراء آخرين، و هذا النوع من المدائح و إن طرأ عليه تطور قليل في شكله و بعض مضامينه، لكنّه إحتفظ بشعريته الخالصة و بُعده عن المبالغات الصوفية التي استغرقت فيها هذه المدائح في أدب عصر الإنحطاط بعد سقوط بغداد على يد التتار. فمن ميزات المدائح النبوية في هذا الإتجاه، اقتصارها على ذكر الصفات المعهـــودة للنبـــي (ص) و هي صفات إنســـانيـــة و رســـاليـــة، و بُعده عن المبالغات الكثيرة التي شاعت فيما بعد. نلاحظ أنّ دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت في قصيدته الشهيرة "مدارس الآيات" يطلب من الله سقياً لقبر النبيّ (ص) بالمدينة -كعادة الشعراء في طلب الرحمة لأهل القبور- فيقول:

سَقَى اللهُ قبراً بِـــالمدينةِ غَيثَهُ
فَقَد حَلَّ فيهِ الأمنُ بِالبَركاتِ
نَبِيُّ الهُدَى، صَلَّى عليهِ مَليكهُ
وَ بَلَّغَ عَنَّا رُوحَـــهُ النفحاتِ
صَلَّى عَليهِ اللهُ مَـــا ذَرَّ شَارِقٌ
وَلاحَتْ نُجُومُ اللَّيلِ مُبتدِرَاتِ
(الديوان، ١٩٩٤م. ص٤١)

الثاني: إتجاه شعري ممزوج بالتصوف و المعارف الفلسفية و الدينية (إتجاه البردة الثانية)

تطورت المدائح النبوية في هذا الإتجاه الشعري تطوراً متأثراً بالبيئة و الظروف الخاصة لهذة الفترة، لأنّها نتاج مرحلة تاريخية شاعت فيه العقائد الصوفية معبّرة عن معاناة إنسانية للواقع الإجتماعي، السياسي والثقافي الذي عاش فيه الشاعر، فأصبح المديح النبوي في ذلك العصر غرضا رئيساً في الشعر، لأنّ الظروف كانت مساعدة لازدهاره، و من عوامل الظهور لهذا النوع من المدائح – إضافة إلى شيوع التصوف- هي تشجيع السلاطين له، سيطرة الروح الدينية على المجتمع، انهيار الأوضاع الإجتماعية و الصحية و الإقتصادية، و ظهور خطر الأعداء من صليبيين و غيرهم، فألبس الشعراء مدائحهم ثوباً جدياً ملائماً لتلك الظروف. و تعد قصيدة "بردة البوصيري" التي مطلعها بالمطلع:

أَمِـــن تَذَكُّـــرِ جيـــرانٍ بِذي سَلَـــمِ
مَزَجتَ دَمعـــاً جَرى مِن مُقلةٍ بِـــدَمِ
(الديوان، ٢٠٠٧م. ص٢٢٧)

من أهم هذه القصائد و أكثرها ذيوعاً بين مدائح هذه الحقبة، لأنها كانت مصدر إلهام لكثير من القصائد التي أُنشئتْ بعد البوصيري و " أثّرت على القصائد البديعية التي كانت أكثرها في مدح النبيّ (ص) تأثيراً بالغاً"(حكيمي، بلا تا، ص١٤٢) . يقول زكي مبارك: "إنّ البوصيري سما في المدائح النبوية سموّاً لم يوفّق إلى معشاره في سائر شعره و هذا أثر لصدق العاطفة" (مبارك، ١٩٩٣، ٢١١). " فقد أحصى بروكلمان من شروحها المخطوطة و المحفوظة في مكتبات العالم أكثر من مائة شرح فضلاً عمّا فقد" (بروكلمان، ١٩٩٣م. ج٥/٨٥). يقال إنّ «بـــردة البوصيـــري» صيغت على وزن وقافية قصيدة «هل نار ليلـــى بدت ليلا» (حجار، ٢٠٠٩م) للشـــاعر الصوفي

١. وَارَاك: أحفاك. الصفيحُ: كلّ عريض من حجارة، حجر القبر.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

المشهور عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـــ. ق.) يقول ابن الفارض في مطلع قصيدته:

هل نارُ لَيلى بَدَت لَيلاً بِذي سَلَمِ
أَم بارِقٌ لاحَ في الزَّوراءِ فالعَلَمِ

(الديوان، بلا تا، ص١٢٨)

يمدح البوصيرى النبيّ (ص) بالتفصيل فيصف خصاله الكريمة وصفاً مليئاً بالحب و الإخلاص، فيقول:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَونَينِ و الثَّقَلــ
ينِ والفَريقَينِ مِن عُربٍ ومِن عَجَمِ
هُوَ الحبيبُ الّذي تُرجى شَفاعَتُهُ
لِكُلِّ هَــولٍ مــنَ الاهوالِ مُقتَحِمِ
فــاقَ النبيينَ في خَلقٍ وَ في خُلُقٍ
وَ لَم يُدانوهُ في عِلمٍ و لا كَرَمِ
وَ كُلُّهُم مِــن رَسولِ اللهِ مُلتَمِسٌ
غَرفًا مِنَ البَحرِ أَو رَشفًا مِنَ الدِّيَمِ
فَهوَ الّــذي تَمَّ مَعناهُ وَصورتُــهُ
ثُمَّ اصطَفــاهُ حَبيبــًا بارئُ النَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عَن شَريكٍ في مَحاسِــنه
فَجَوهَرُ الحُسنِ فيهِ غَيــرُ مُقتَسِمِ
فَمَبلَغُ العِلمِ فيــهِ إنّــه بَشَــرٌ
وَ إنّــه خَيــرُ خَلقِ اللهِ كُلِّهِمِ

(الديوان، ٢٠٠٧م. ص٢٢٩)

و الملاحظ أن الشعر الصوفي كان في أغلبه توسلات إلى الرسول (ص) و إلى الصحابة والأولياء، و كثيراً ما قد تجّلى هذا الإتجاه في مدائح البوصيرى و في بردته. فيذكر الشاعر– في مدائحه عامة و في بردته خاصة – قضايا ذات نزعة صوفية تختلف عمّا جاء في المدائح النبوية في الشعر القديم. على سبيل المثال يشير إلى خلقة العالم و يربطها بخلقة النبيّ (ص) ملهماً من العقائد الصوفية، فيقول:

وَكَيفَ تَدعو إلى الدُّنيا ضَرورةُ مَن
لَولاهُ لَم تَخرُجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

(المصدر السابق)

فلم نجد مثل هذا المعنى في المدائح السابقة للنبيّ (ص). كما جاء في مديحه أيضاً ما يصف القرآن مشيراً إلى الخلافات حول حدوث القرآن و قدمه، فيقول:

آياتُ حقٍّ مِنَ الرحمنِ مُحدَثَةٌ
قديمةٌ صِفةُ الموصوفِ بِالقِدَمِ

(المصدر نفسه، ص٢٣٣)

يقول زكى مبارك إنّ في هذا البيت" إشارة إلى ما اختلف فيه المتكلمون عن قدم القرآن و حدوثه" (مبارك، بلا تا، ص٢٠٣)

إنّ ما قد ذكر في هذه الأبيات من المعاني و الإشارات الدينية و الصوفية التي يوجد كثير منها في مدائح هذه الحقبة عند البوصيري و غيره من الشعراء، يدلّ دلالة واضحة على تطور محسوس في هذه المدائح، و لو بحثنا عن مثل هذه المعانى في المدائح السابقة لا نكاد نجد لها مثيلاً. و لذلك اختلفت الآراء حول مديح البوصيري بما فيها من العقائد الدينية و الصوفية، بينما لا نجد خلافاً مثل هذا في شأن المدائح السابقة منها. فالملاحظ أنّ من ميزات المدائح النبوية في هذا الإتجاه (البردة الثانية) اندماجها بالمعارف الدينية و الصوفية و العرفانية و الفلسفية التي لم تكن سائدة على المدائح فى الإتجاه الأول في العصر الإسلامى و ما بعده. و مما سبق يلاحظ أن المدائح النبوية منذ البوصيري ومن قلّده تختلف عن المدائح النبوية قبلها، لأنه شتان بين التصور الواقعي البشري كما صوّره شعراء المديح النبوي الأوائل من أمثال كعب بن زهير وكعب بن مالك وحسان بن ثابت و معاصريهم، و بين التصور المتأخر للرسول (ص) عند الشعراء

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

المتأخرين الذين أحالوا شخصية الرسول(ص) إلى سلسلة طويلة من الخوارق والمعجزات والقدرات فوق الطبيعية.

الثالث: إتجاه شعري ممزوج بالقضايا الإجتماعية و السياسية (غلبة الصبغة الإجتماعية)

في أقلّ من قرنين تطوّر الشعر العربي المعاصر تطوّراً واسعاً في جوانبه الفكرية و الفنية. يتحدّث الكاتب المصري غالي شكري عن مدى هذه التطورات العميقة في الشعر العربي المعاصر مقارناً بينه و بين الشعر العربي القديم، فيقول:«إن المفاضلة بين الشعر التقليدي و الشعر الحديث تصبح ذات غير موضوع لإنّهما لا يملكان- في حقيقة الأمر- من عناصر الأرض المشتركة سوى اللغة» (غالي شكري، ١٩٧٨م. ص١١٦)

في بداية العصر الحديث، تتراءى مجموعة من القصائد في مديح الرسول (ص) تقوم بالمعارضة و أحياناً فيها قليل من الإبداع و التجديد، و تسمّى تلك القصائد بقصائد شعراء التيار الكلاسيكي أو الإتجاه التراثي في المدح. و كان محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، أحمد محرم، علي أحمد باكثير، و معروف الرصافي و شعراء آخرون من الذين برعوا في هذا الإتجاه الشعري. و «ينفرد الشاعر أحمد محرم من بين شعراء العصر بتطويره لهذا الفن إلى ملاحم تحكي سيرة الرسول الكريم (ص) و تتغّنى بأخلاقه و مناقبه و جهاده في نشر الدعوة الإسلامية». (هنادي، ٢٠٠٩م)

كانت معظم مدائح هؤلاء الشعراء تقليداً للقديم و محاولة لإحياء التراث، كما تدلّ أسماء قصائدهم على هذا، كـــ "نهج البردة"، و "همزية" شوقى، و "كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة" للبارودي، فعارض الشاعران بردة البوصيري الشهيرة و قصائده الأخرى و ذلك في البداية، و لكن بعد مدة قليلة من الزمن، تغيّر هذا الإتجاه التراثي في المديح النبويّ، فظهرت جماعة من الشعراء "اتّخذوا المديح النبوي كوسيلة للتحدث عن الأغراض الإجتماعية و السياسية و القضايا العربية مثل قضية فلسطين و القدس و...فدارت مضامينهم حول التحسر ممّا آل إليه حال العرب و مناجاة الرسول (ص) لجمع شتات العرب... و التحسر على عصور الإسلام الزاهية و قيادته الرشيدة و التمنّي لو أنّ قائداً يعيد أمجاد الماضي" (خاقاني، ١٣٨٧هـــ.ش. ص ٣١) فأصبحت المدائح النبوية في الشعر العربي المعاصر نوعاً من الشعر الإجتماعي النضالي الذي يصف الشاعر فيه المشاكل التي يعاني منها العالم العربي في العصر الحاضر، و يحاول استنهاض روح المقاومة في الشعوب العربية المهزومة، فظهر بذلك -بعد الجيل الأول من الشعراء الكلاسيكيين- نوع جديد من المديح النبوي، فغلبت على الجانب التراثي فيه النواحى الإجتماعية و السياسية ذات الصبغة النضالية و اتّسعت دائرة هذه المدائح اتساعاً يشتمل على كثير من الشعراء، فيمكن تقسيم أصحاب هذه المدائح في الشعر المعاصر بشكل عام، إلى تيارين رئيسين هما:

الف) الإتجاه الإسلامي (التقليدي و غير التقليدي).

ب) الإتجاهات الفكرية الأخرى (القومي، المسيحي، اليساري، اليمينى).

٣- حالة الأمة الإسلامية المأساوية في المدائح (فلسطين و القدس و...)

صارت القضية الفلسطينية موضوعاً لكل شاعر إسلامي معاصر، سواء أكان فلسطينياً أم غير فلسطيني، فانعكست هذه النزعة السياسية في المدائح النبويّة أيضاً، كما امتدّ ظلّها على الشعر العربي عامّة. فعلى سبيل المثال، في قصيدة (نشيد للرجال) للشاعر الفلسطيني محمود درويش، يشير

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

الشاعر في حوار خياليّ مع الأنبياء (ع) إلى السجن الكبير الذي قد أحاط بالفلسطينيين و يسأل الرسول الكريم (ص) عن طريق إلى خلاصه و خلاص قومه، فيقول في هذا الحوار المتخيّل:

مَعَ محمّدٍ (ص)
أَلَو
أريدُ محمّدَ العَرَبِ
نعم! مَن أنتَ؟
سجينٌ في بلادي
بلا أرضٍ
بلا عَلَمٍ
بلا بيتٍ
رمَوا أهلِي إلى المَنفَى
و جاؤُوا يشترونَ النارَ مِن صوتِي
لأَخرُجَ مِن ظلامِ السِّجنِ...
مَا أفعل؟
تحدَّ السجنَ وَ السجّانَ
فإنَّ حلاوةَ الإيمانِ
تُذيبُ مَرارةَ الحنظلِ!

(درويش، ١٩٨٩م، ص١٥٦ و ١٥٧)

فالشعر النبوي في الادب المعاصر- كما قد قيل- هو شعر غلبت عليه الهموم الإجتماعية و السياسية، فالشاعر المعاصر "يعاني من الأحزان و الهموم التي تعتصر قلبه و فؤاده بسبب انهيار الأمة الإسلامية و ضياعها و انهيار قيمها و معاناة الإنسان فيها لوجود الظلم و الإحساس بالإغتراب بكل أنواعه و تكالب الإستعمار على أوطانها؛ هذا ما جعل الشاعر يظهر أوجاعه الدفينة و جروحه الكلمى و يصور معاناته اليائسة في كل أنواع شعره" (حمداوي، ٢٠٠٩). فظهرت هذه المعاناة في الشعر العربي الحديث بشكل عام و فى المدائح النبوية بشكل خاص. يشير الشاعر المسيحي جورج صيدح إلى الحالة المأساويّة للقدس فيخاطب النبي (ص) قائلاً:

يَا مَن سريتَ عَلَى البُرا
قِ و جزتَ أشواطَ العنان[1]
عَرِّجْ عَلَى القدسِ الشَّريـ
ـفِ فَفيهِ أقـدَاسٌ تُهَان
مَـاذَا دَهاهُم هَل عَصَو
كَ فـأصبحَ الغَازِي جَبَان[2]
(صيدح، ٢٠٠٦م)

كما يعبّر الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) عن آلامه تجاه قضية فلسطين مدافعاً عن المجاهدين الذين تحمّلوا صعوبات النضال. فيحرّم الشاعر العيد على نفسه لأنّ الأحرار محبوسون فى السجون، فيقول:

صِياماً إلى أَنْ يَفطرَ السَّيفُ بالدَمِ
وَصَمتاً إلى أنْ يُصدَحَ الحقُّ يَا فَمِ
أ فِطرٌ و أحرارُ الحِمَى في مَجاعةٍ
و عيـدٌ و أبطالُ الجهـادِ بمَأتمِ؟

فهو ينتقد حالة الذلّ في الدول الإسلامية، و يخاطب النبيّ (ص) مشيراً إلى فقدان العزة للبلاد الإسلامية، فيقول:

يَا فاتحَ الأرضِ ميداناً لِقُوَّتِهِ
صَارَتْ بلادُكَ ميداناً لكلِّ قوى
(القروي، ٢٠٠٦م)

فنلاحظ أنّ الشاعر نزار قباني في مديحه الرائع بالمطلع:

عَزَّ الوُرودُ و طالَ فيكَ أُوامُ
وَ أرقتُ وَحْدِي و الأنامُ نيامُ[1]

١. البراق: دابّة ركبها الرسول (ص) ليلة المعراج
٢. دهاهم: اصابهم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

يكشف عن ألم شديد سيطر عليه و ملأ قلبه، فيصف الحالة المأساوية التي عانى منها المسلمون بحزن و حسرة، فيخاطب النبيّ (ص) قائلاً:

الحزنُ يملأُ–يَا حبيبُ –جَوارِحِي
فالمسلمونَ عنِ الطريقِ تَعَامُوا
وَ الــذُلُّ خَيَّمَ فَالنفوسُ كئيبةٌ
وَ علَى الكبارِ تطاولَ الأقزامُ[2]
الحــزنُ أصبحَ خبزَنا فَمَساؤُنا
شَجَنٌ و طَعمُ صباحِنَا أسقَامُ
و اليأسُ ألقَى ظِلَّــهُ بنفوسنا
فَكأَنَّ وجــهَ النيرينِ ظلامُ

ثمّ يسأل الشاعر في حيرة عن ماذا يستطيع أن يفعل المرء للخروج من هذا الظلام المهلك، و العيون لا تبصر و القلوب مستغرقة في ظلام، و هل يستطيع أن ينام الإنسان على سرير مؤلم من الأشواك:

أنَّى اتَجهتُ ففِي العيونِ غَشاوةٌ
وعَلَى القلوبِ مِن الظلامِ رُكامُ
الــكربُ أرَّقَنا وَ سَهَّــدَ ليلَنا
مَن مهدُهُ الأشواكُ كيفَ يَنَامُ؟

ثمّ يشير الشاعر إلى حالة الذلّ و المسكنة الحاكمة على المسلمين و يشتكي من أنّهم يذلّون أمام الغاصبين لبلادهم بينما يشدّون على أبناء الوطن فيحرّمونهم ترابه الطيّب، فيخاطب النبي (ص) منشداً:

يَا طيبةَ الخيراتِ ذَلَّ المسلمونَ
و لا مُجيرَ و ضِيعَتْ أحــلامُ
يُغضُونَ إنْ سَلَبَ الغريبُ ديارَهم
وَعَلَى القريبِ شَذَى التُّرابِ حَرامُ
بَــاتُوا أسَــارَى حَيرةً و تَمَزُّقــاً
فَكــأَنَّهُم بينَ الــوَرَى أغنَــامُ
نَــامُوا فَنَامَ الذُلُّ فوقَ جُفُونِهم
لاغروَ ضَاعَ الحزمُ وَ الإقــدَامُ
يَــا هَادِيَ الثَقَلَينِ هَل مِن دَعوةٍ
تُــدعَى بِهــا يَستَيقظُ النُوّامُ
(قباني،٢٠٠٩م)

كما نلاحظ أنّ الشاعر العراقي بدر شاكر السياب في مديحه بعنوان " مولد المختار" و هذا من أخريات قصائده التي ألقاها بمناسبة المولد النبوي عام ١٩٦١م. بالمطلع:

دُموعُ اليتامَى في دُجَــى اللَّــيلِ تَقطُــرُ
و نوحُ الثُكالى عَاصفٌ فيهِ يَصــفِرُ

يشير إلى حالة المسلمين المؤلمة في استفهام يدلّ على حسرة لاذعة في نفسه، فيخاطب النبيّ (ص) قائلاً:

ألا قبسةٌ مــما تنفّســتَ في الدُّجــى
فَنَحــيــا، وينهــدّ الظلامُ المســوّرُ؟
ألا تُفْجرُ البركانُ فــي مُقــفراتــنــا
فيستبسلُ الأحــرارُ أيــّانَ يُفْجَــرُ؟!
تلبَّدَ وجهُ اللــيلِ تُخفــيــهِ غيــمــةٌ
مِــنَ الوحــلِ و القارُ المُدمَّــى تزمجرُ
و مــالتْ علَى الأفقِ الضريرِ مــنــائرُ
و خرَّتْ قبابٌ، و انهــوى، ثمَّ مَنــبرُ
كأنْ لمْ يَضيء بالنورِ ميلادُ أحــمــدَ
و لم تنطــفِئ للفــرسِ نارٌ ومســعرُ
و لم يدحر الجيشَ الصــليبيَّ صــامدٌ
ولا راعــتْ الغــازيــنَ " اللهُ أكبرُ "
(الديوان، ج٢، ص ٥٧٣)

١. أُوام: حرارة العطش
٢. القرام: جمع القرم: اللئيم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

كما أنّ الشاعر المصري خليل مطران، في مديحه بالمطلع:

هلَّ الهلالُ فحَيُّوا طالعَ العيدِ
حَيُّوا البشيرَ بتحقيقِ المواعيدِ

يصف معاناة الرسول(ص) و ما تحمّله من المشقات في دفاعه عن الدين، فيقول:

عَـــانَى محمّدٌ مَا عانَى بهجرتِهِ
لِمأربٍ فِي سبِيـــلِ اللهِ محمودُ
وكَم غزاةٍ وكم حربٍ تجشَّمَها
حَتَّى يَعـــودَ بتمكينٍ و تأييد
رسالةُ اللهِ لـــو حَلَّت علَى جبلٍ
لاندكَّ منهَا وأضحَى بطنُ أحدودِ
و لـــو تحمَّلها بحرٌ لشبَّ لظىً
و جفَّ و اهالَ فيهِ كلُّ جَلمُودِ
مـــا أثمرتْ هجرةُ الهادي لأمتِهِ
مِـــن صالحاتٍ أَعدَتْها لِتخليدِ
وسوَّدتْها على الـــدنيا بأجمعِهَا
طوالَ مـــا خلُقَت فيها بتسويدِ

و في نهاية القصيدة ينادي الشاعر مسلمي مصر و يحثّهم على الجدة في أعمالهم، قائلاً:

أَي مُسلِمي مصرَ إنَّ الجدَّ دينُكم
وبئسَ ما قيلَ شعبٌ غيرُ مجدودِ

(الديوان، ج١، ص ٢٩٨)

و في هذا السياق، يصف الشاعر العراقي معروف الرصافي التفرقة بين المسلمين في مديحه بالمطلع:

وضحَ الحقُّ و استقامَ السبيلُ
بِعظيمٍ هـــو النبيُّ الرسولُ

فيسأل المسلمين قائلاً:

لِمَ لم تحفظُوا أخـــوَّةَ ديـــنٍ
جاءَكم ناطقاً بِهِ التنزيلُ
كانَ حبلُ الإخاءِ فيكم وَثيقاً
كيفَ أمسَى وعقدُهُ محلولُ
لستُ مِنكم بيائسٍ بل نهوضٌ
منكم بعدَ فترةٍ مـــأمـــولُ

(الديوان، ٢٤٨)

كما يصوّر الشاعر السوري عمر أبو ريشه، في مديحه الرائع بعنوان" ملحمة النبيّ" (ص) و التي هي أشبه بالقصة القصيرة (حوادث الظهور) بالمطلع:

أيُّ نجوَى مُخضلةِ النعماءِ
رَدَّدتْها حَناجرُ الصحراءِ؟

و في نهاية القصيدة يخاطب الشاعر "عروس الصحراء" و يطلب منها إعادة المجد للعرب فيقول:

يا عروسَ الصحراءِ مَا نَبَتَ المجدُ
علَى غيرِ راحـــةِ الصحراءِ
كلَّما أغرقتْ لياليهَا في الصمتِ
قـــامتْ عن نبأةِ الـــزهراءِ
فأَعيدِي مجـــدَ العروبةِ و اسقِي
مِـــن سناهُ محـــاجرَ الغبراءِ
قـــد ترفُّ الحياةُ بعدَ ذبـــولِ
ويلينُ الزمـــانُ بعدَ الجفاءِ

(الديوان، ج١، ص ٣٦٥)

و مثل هذه المعاني الإجتماعية و السياسية كثيرة جداً في المديح النبوى في الشعر العربي الحديث، فها هو الشاعر اليمني علي أحمد باكثير في قصيدة" نظام البردة" بالمطلع:

يَا ليلةَ الأملِ المغشيِّ بالألمِ
كُوني دَليلِي فِي محلولكِ الظلمِ

يشير إلى عصر البعثة و المساوات بين الرجل و المرأة من ناحية الدين الحنيف، فيقول:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

وَافَـــى علَى فترةٍ و الأرضُ واجفةٌ
ممّا بها مِن صنوفِ الكفرِ والجُرُمِ
فـــي كلِّ ركنٍ مِنَ الدنيا جَبابِرةٌ
يستبعدونَ رقابَ النّاسِ كالغَنَمِ
سَاوَى النساءَ حقوقاً بِالرجالِ سِوَى
مَا يَقتضيهِ اختلافُ الخلقِ وَالشيَمِ
يَرَى (أنـــوثتها) أرقَـــى فضائِلِهَا
فلا تَـــذُلُّ بِأهـــوانٍ وَ لا تَسِمِ

ثمّ يسأل الله تعالى بصدق عاطفته الدينية، بأن ينجي الأمة و يخلصها من الحالة المأساوية التي أصابتها، فيقول:

يا ربِّ يا صاحبَ العرشِ العظيمِ ومَنْ
تُحيي الإرادةُ مِنهُ دارسَ الرِّمَمِ
بما بعثتَ بِـــه خيرَ الأنـــامِ أجِـــرْ
يا ربِّ أمَّتَهُ من قُصمةِ القُصَمِ[1]
(باكثير، ٢٠٠٩)

فهذه المدائح – كما نلاحظ في كثير منها – أشبه بمناجاة اجتماعية مليئة بالشكوى من الظروف السيئة الحاكمة على البلاد الإسلامية، فها هو محمد الفيتورى الشاعر السوداني في قصيدة بعنوان (يوميات الحاج إلى بيت الله الحرام) يخاطب النبيّ (ص) بحسرة و ألم قائلاً:

– يا سيدى، نعلم أن كان لنا مجد و ضعيّناه
– بنيته أنت و هدّمناه
– و اليوم...ها نحن — أجل يا سيدى– نرفل في سقطتنا العظيمة
–كأنّنا شواهد القدية
–تعيش عمرها لكي تؤرّخ الهزيمة.
(نقلاً عن : زايد، ١٩٩٧، ص٨٠)

فهذه هي نماذج قليلة من المدائح النبوية في الشعر العربي المعاصر، نلاحظ أنّ الصبغة الإجتماعية و النضالية واضحة فيها كل الوضوح، و أنّ شخصية النبي (ص) في هذه المدائح أخذت دلالات متنوعة و مختلفة عمّا كان عليه في المدائح السابقة، فبينما كانت تلك المدائح في الشعر العربي القديم ذات صبغة وصفية فردية، فإنها اصطبغت في الشعر المعاصر بصبغة اجتماعية رسالية، و هذا تطور و تجديد طرأ على المديح النبوى في الشعر العربي الحديث، فاكتفينا بهذا القدر منه لأنّه كثير جداً، و في الختام يمكن القول إنّ الإتجاه الإجتماعى و السياسي هو الغالب الآن على المديح النبوي.

نتائج البحث

إنّ للمدائح النبوية مكانةً رفيعةً فى الشعر العربى، و بما أنّ الشعر العربي لم يزل في تطور، فإن هذه المدائح تطورت تبعاً لما حدث للشعر في كل حقبة من الزمن، و يبدو أنّ لهذه المدائح ثلاثة إتجاهات مختلفة طيلة القرون الماضية، كما ذكرناها سالفاً.

ففي ما سمّي بـــ "الإتجاه الشعري المحض"(إتجاه البردة الأولى) كانت المدائح تدور في دائرة شعرية خالصة بعيدة عن المبالغات، و لا تكاد تتراءى فيها نزعة للتصوف أو الفلسفة، كما لا نكاد نلاحظ فيها نزعة فكرية و دينية عميقة خارجة عن فهم عامة الناس، فكانت المدائح في هذا الإتجاه الشعري، تُعنى بالخصال الإنسانية الكريمة للرسول (ص) أكثر من أيّ شيء آخر، كما نلاحظ أنّ كعب بن زهير و حسان بن ثابت و غيرهم من الشعراء، كانوا يمدحون النبيّ (ص) وأصحابه بالكرم و الجود و الشجاعة و الفضائل الإنسانية العالية، مشيرين إلى النور الذي أنزله الله على النبيّ لهداية الناس.

[1]. قُصمةِ القُصَمِ: المصيبة المهلكة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

أمّا مدائح الإتجاه الثاني – أعني المدائح التي إمتزجت بالتصوف و المعارف الدينية و الفلسفية (إتجاه البردة الثانية) – فقد ظهرت هذه المدائح في عصر الفترة، و تعدّ "بردة" البوصيري بداية لهذا النوع من المدائح. ازدهرت هذه المدائح في حين ظهر المديح النبوي كغرض رئيس للشعر لأنّ الظروف كانت مستعدة لظهورها و لازدهارها.

و في الإتجاه الثالث (الإتجاه الإجتماعي) تطورت هذه المدائح تطوراً جذرياً فاصطبغت بصبغة عصرية تختلف كل الإختلاف عمّا كانت عليه من قبل، فأصبح المديح النبوي شعراً ممزوجاً بالقضايا الإجتماعية و السياسية و النضالية. لأنّ الصبغة الإجتماعية التي غلبت على الشعر العربي المعاصر بشكل عام، أثّرت على هذه المدائح، فأصبحت غلبة الصبغة الإجتماعية عليها من ميزاتها الفارقة بينها و بين المديح النبوى في الشعر القديم.

الهوامش

١-هذا المديح لم يكن موجوداً في "الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قبانى" (٣ مجلدات مطبوعة في ١٩٨٣-١٩٨٦)، فورد أخيراً بعض الشكوك لنسبته إلى الشاعر و لكن في موقع السيرة الذاتية لنزار قبانى، جاءت القصيدة باسم مدح الرسول (ص) الرقم ١٤٥ و في المجلات الإلكترونية و في المواقع الكثيرة، اندرج هذا المديح للشاعر دون أىّ شكوك، باسم "عزّ الورود" مرة و أجمل مديح للنبىّ (ص) مرة أخرى.

المصادر و المرجع

[١] ابن رشيق القيرواني، الإمام أبي علي حسن (١٤٠٨ه.ق) العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تحقيق محمّد قرقزان، دارالمعرفة، ط١، بيروت.

[٢] ابن سلام الجمحي، محمد (١٩٩٧م) طبقات الشعراء، تحقيق عمر فاروق الطباع، دارالأرقم، ط١، بيروت.

[٣] ابن الفارض، أبو حفص عمر بن أبي الحسن (بلا تا) ديوان، دار صادر، بيروت.

[٤] ابن قتيبه، عبد الله بن مسلم (١٩٩٨م.) الشعر و الشعراء، تحقيق عمر فاروق الطباع، دارالأرقم، ط ١، بيروت.

[٥] ابو ريشه، عمر (٢٠٠٩م) الاعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت.

[٦] ابو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (بلا تا) دار الإحياء للتراث، ط ١، بيروت.

[٧] الأيوبي، ياسين (٢٠٠٣م) معجم أعلام الشعراء: المدح النبوي، دار المكتبة، بيروت.

[٨] باكثير، علي أحمد (٢٠٠٩م) نظام البردة، موقع باكثير: wwwbakatheer.com/index.php.

[٩] بدوي، أحمد أحمد (١٩٦٤م) أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر، ط ٣، القاهرة.

[١٠] بديوى، أنس (٢٠٠٥م) روائع الشعر المعاصر، دار المعرفة، ط ١، بيروت.

[١١] بروكلمان، كارل (١٩٩٣م) تاريخ الأدب العربي (القسم الثالث ج٥و٦) المترجم: السيّد يعقوب بكر و رمضان عبد التواب، الهيأة المصريّة العامة للكتاب، مصر.

[١٢] بوصيري، محمّد بن سعيد (٢٠٠٧م) ديوان، دار المعرفة، ط١، بيروت.

[١٣] درويش، محمود (١٩٨٩م) ديوان (أوراق زيتون)، دار العودة، ط ١٣، بيروت.

[١٤] خاقاني، محمد (١٣٨٧م) المديح النبوي و بواعثه في الشعر المهجري، مجلة الجمعية العلمية للغة العربية و آدابها، ع ٩.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

[١٥] حريرچی، فيروز (١٩٩١م) "على ضوء الشعر الملتزم في صدر الإسلام" ، مجلة العلوم الإنسانية، السنة ٢ العدد ٣ و٤).

[١٦] حمداوي، جميل(٢٠٠٧م) شعر المديح النبوي في الأدب العربي، مجلة ديوان العرب، http://www.diwanalarab.com/spip.php?article

[١٧] ـــــــ، (٢٠٠٩م) مميزات الشعر الإسلامي المعاصر و خصائصه الموضوعية و الفنية، http://www.arabicnadwah.com/articles/islamicpoetry-hamadawy.htm

[١٨] حجار، نجمة (٢٠٠٩م) شخصية النبي في الشعر العربي بين القديم والجديد، مجلة نزوى(الأردنية) ع ٥٣.

[١٩] حسينى، محمد باقر (١٣٨٨) مدح الرسول (ص) من الواقع إلى الرواية ، مجلة الأدب المقارن بجامعة، ع١.

[٢٠] حكيمي، محمد رضا (بلا تا) ادبيات و تعهد در اسلام، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم.

[٢١] الخزاعي، دعبل بن علي (١٩٩٤م) الديوان (شرح حسن حمد)، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت.

[٢٢] زينى‌وند، تورج (٢٠٠٤م) "مقارنة بين حسان بن ثابت و الخاقانى في المديح النبوى"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٥ -٤.

[٢٣] سرباز، حسن (٢٠٠٣م) "المدائح النبوية نشأتها و تطورها في الأدب العربي"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١.

[٢٤] السياب، بدر شاكر (٢٠٠٠م) الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت.

[٢٥] شكري، غالي (١٩٧٨م) شعرنا الحديث إلى أين، ط ٢، دارالآفاق، بيروت.

[٢٦] الرصافي، معروف (٢٠٠٦م) الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت.

[٢٧] صيدح، جورج (٢٠٠٦م) نقلاً عن مقالة "صورة الرسول العظيم في الشعر المهجري" (خالد محي الدين البرادعي) مجلة الموقف الأدبي، ع ٤١٩.

[٢٨] عوضين، ابراهيم (١٩٩٤م) محمد (ص) بين البوصيري و شعراءنا المعاصرين، وزارة الأوقاف، القاهرة.

[٢٩] الفيتورى، محمد (١٩٩٧) نقلاً عن: "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربى المعاصر" على عشرى زايد)، دار الفكر العربى، القاهرة.

[٣٠] قباني، نزار (٢٠٠٩م) نقلاً عن: مجلة الغرباء الالكترونية، العدد ٦٨ (مجلة تعنى بالثقافة و الأدب الإسلامي تصدر بلندن.

[٣١] ـــــــ، (١٩٨٣-١٩٨٦) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قبانى، ٣ مجلدات، منشورات نزازه قبانى، بيروت.

[٣٢] القروي، رشيد سليم الخوري (٢٠٠٦م) نقلاً عن مقالة "صورة الرسول العظيم في الشعر المهجري" (محي الدين البرادعي) مجلة الموقف الأدبي، ع ٤١٩

[٣٣] -كعب بن زهير (١٤٢٥هـ.ق. ٢٠٠٤م) الديوان (صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري) دار الكتاب العربي، بيروت.

[٣٤] الكميت، زيد الأسدي (بلا تا) الروضة المختارة، مؤسسة نعمان، بيروت.

[٣٥] مبارك، زكي (١٩٣٥م) المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، ط ١، بيروت.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

[٣٦] ـــــــ، (١٩٩٣م) الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، ط ١، بيروت.

[٣٧] ـــــــ، (بلا تا) احمد شوقي، دار الجيل، بيروت.

[٣٨] مطران، خليل (بلا تا) ديوان خليل مران، دار مارون عبود، بيروت.

[٣٩] مكي، محمود على (١٩٩١م) المدائح النبوية، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط ١، مصر.

[٤٠] هنادي، أحمد جميل بيطار(٢٠٠٩م) شعر المديح النبوي تطوره وخصائصه، http://www.yemen-nic.net/contents/studies/detail.php?ID

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]

مدایح نبوی در شعر عربی
(بررسی دگرگونی‌های تاریخی آن)

علی سلیمی[۱]، محمد نبی احمدی[۲]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۱۰/۱۵ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۹/۱٤

مدایح نبوی بخش عظیمی از میراث اسلامی و عربی گذشته را تشکیل می‌دهد و هزاران قصیدهٔ سرشار از عواطف دینی و انسانی در این زمینه سروده شده است. این نوع شعر، مانند دیگر گونه‌های ادبی، طی سالیان گذشته از لحاظ شکل و محتوا، دستخوش دگرگونی فراوانی شده است. علاوه بر این، در شعر معاصر، به شدت رنگ اجتماعی و سیاسی به خود گرفته است. این مدائح در آغاز عصر حاضر، تلاشی به منظور احیای سنت شعری گذشته بود، اما طولی نکشید که رنگ سنتی آن دگرگون شد و دغدغه‌های اجتماعی و سیاسی بر آن غلبه نمود که در نتیجه آن، این نوع شعر، در برابر امت و موضوعات سرنوشت ساز آن، خود را متعهد احساس نمود.

بر مبنای دگرگونی‌هایی که این مدائح در ادب قدیم و جدید عربی به خود دیده است، می توان آن را به سه دسته تقسیم‌بندی نمود:

۱-گرایش شعری خالص (بُرده اول)

۲-گرایش شعری آمیخته به تصوف، معارف دینی و فلسفه (بُرده دوم)

۲- گرایش شعری با رنگ اجتماعی و سیاسی (در شعر معاصر)

کلید واژگان: مدح نبوی، برده کعب بن زهیر و بوصیری، شعر اجتماعی و سیاسی

۱. دانشیار گروه عربی دانشگاه رازی alisalimi832004@yahoo.ca

۲. استادیار گروه عربی دانشگاه رازی. mnabiahmadi@razi.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.1.9]